دور المنهج الاجتماعي في الدراسات الأدبية والنقدية

The role of the social method in literary and critical studies

يمينة مختار*

جامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله

Email: yamina.mokhtar@univ-lger2.dz

تاريخ الإرسال: 2022-11-16 **تاريخ القبول:** 2023-05-18

ملخص:

يعد النقد من أهم الحوافز الدافعة إلى ازدهار الإبداع الأدبي وتطوير أشكاله الفنية ومقاصده الفكرية والثقافية، وتنوع مناهجه التحليلية والثقافية، فازدهار الأدب في أي عصر مرتبط بالنقد وما يقدمه من تفسير،و تقييم وإبداع، حيث ظهرت مدارس عديدة لدراسة نتاج الأدبي التي تعد أساس مناهج النقد الحديث ومدرسة النقد الاجتماعي والماركسي، من أهم المدارس والمناهج النقدية في الأدب التي ساهمت كثيرا في تطويره والإبداع فيه، فهي تهتم بنقد مضامين النصوص، والمنهج الاجتماعي من المناهج الأساسية في الدراسات الأدبية والنقدية، وقد تولد هذا المنهج من المنهج التاريخي، وهو منهج يربط بين الأدب والمجتمع بطبقاته المختلفة، ومن هذا المنطلق سيتطرق هذا المقال إلى منهج النقد الاجتماعي من الناحية التاريخية وإسهاماته في التطوير والإبداع

الكلمات المفتاحية: منهج اجتماعي ؛ دراسات ادبية ونقدية ؛علم اجتماع الأدبي

Abstract:

Criticism is one of the most important incentives for the flourishing of literary creativity, the development of its artistic forms and its intellectual and cultural purposes, the diversity of its analytical and cultural approaches, and the flourishing of literature in any era related to criticism and the interpretation, evaluation and creativity it provides. The School of Social Criticism and Marxism is one of the most important schools and critical curricula in literature, which contributed a lot to its development and creativity. With its different layers, and from this point of view, this article will address the method of social criticism through historical terms and its contributions to development and creativity.

Keywords: social curriculum / literary and critical studies / literary sociology

* المؤلف المراسل

مقدمة:

مع بدايات القرن التاسع عشر بدأ الاهتمام بدراسة العلاقة بين الناحية الاجتماعية والأدب، فصدر آنذاك كتاب آن دي ستايل (**Anne Louise Germaine de Staël-Holstein**)[1] تحت عنوان" الأدب في علاقاته بالأنظمة الاجتماعية "متناولاً تأثير الدين والعادات والقوانين في الأدب، وتأثير الأدب فيها، كما ردد دي بونالد (**Louis de Bonald**)[2] فكرة أن" الأدب تعبير عن المجتمع "، فالأديب غالبا ما يكون متأثرا بمجتمعه وبيئته ويستقي أدبه من حياة هذا المجتمع، غير أن الجذور الأولى للمنهج النقدي الاجتماعي يمكن إرجاعها إلى هيجل الذي ربط بين ظهور الرواية والتغيرات الاجتماعية، وذلك حين أشار إلى أن الانتقال من الملحمة إلى الرواية جاء نتيجة لصعود البرجوازية، وما تملكه من هواجس خُلُقية وتعليمية، فلا يمكن انكار العلاقة بين الإنتاج الأدبي والمجتمع الذي تنتمي إلية، فأي عمل أدبي هو في الأساس يعبر عن صورة واقعية أو تصورية للمجتمع، فالإنسان ابن بيئته، ومنها يستلهم ابداعاته، ولذا هدفت هذه الورقة لتسليط الضوء على تأثير المجتمع في الإنتاج الأدبي من ناحية، وعلى دور المنهج النقدي الاجتماعي في ذلك من ناحية أخرى، بوصفه السبيل والطريق الذي يمشي عليه الباحث، فما هو المنهج الاجتماعي، وكيف ظهر المنهج النقدي الاجتماعي، وكيف أثر النقد الاجتماعي على الازدهار والتطور الأدبي؟

1-نشأة المنهج الاجتماعي:

غالبية المناهج الأدبية جاءت ردود فعل على بعضها بعضا، أو امتدادا لبعضها البعض، والمنهج الاجتماعي ما هو إلا امتداد للمنهج التاريخي، و ونقد له، ولأشكال الإقطاعية والبرجوازية والتحرر من تمجيد البطولات والاستماع لقصائد الأحلام والأوهام وهنا "ظهرت دعوة الفن للمجتمع، وقد غذّى هذه الحركة ظهور الشيوعية بعد الثورة الروسية التي قامت عام 1917، ومناداتها أن الفرد في خدمة الجماعة"[3]، ويرتكز هذا المنهج النقدي على

[1] دي ستايل **Anne Louise Germaine de Staël-Holstein**: أديبة ومنظرة سياسية، عرفت بثقافتها كما تعتبر أول من اكتشف الطابع الاستبدادي لنابوليون ومخططاته

[2] دي بونالد **Louis de Bonald**: كاتب وسياسي فرنسي دافع عن المبادئ الكاثوليكية والملكية

[3] أحمد كمال زكي، (1981)، **النقد الأدبي الحديث النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته**، ط2، بيروت، ص 206

الإبداع والمبدع نفسه بالحياة الاجتماعية، في حين الرواد الذين قدّموا المنهج التاريخي أمثال سانت بيف (**Charles Augustin Sainte-Beuve**)[1] وهيبوليت تين (**Hippolyte Taine**)[2]، وفرديناند برونتيير (**Brunetière Ferdinand**)[3] وغوستاف لانسون (**Gustave Lanson**)[4]، ربطوا بين الإبداع الأدبي والمجتمع، فالنقد يصبح بلا جدوى إذا اقتصر على تحليل النصوص، و فك شفراتها، لكن الأولى نقد العمل الأدبي على أساس أنه جزء من النظام الاجتماعي، فيبين كيف ولد هذا العمل، وكيف كانت علاقاته، وعن توازن عناصرها المؤكد أن الأدب لا يخلق في فراغ قط[5]، فالفن ككل شيء في الحياة، "يجب أن يوجّه لما فيه خير الناس والمجتمع، والفنان لا ينتج لنفسه فقط، بل لغيره أيضا، وينبغي أن يشعر بجماعته، ويعبر عن مشاعرها، وهذا ما يمنح تجربته العمق، والأصالة، وهذا الفن الموجه يستطيع تحريك الشعوب، ودفعها في سبيل التطور والرقي"[6].

طرح نقاد المنهج الاجتماعي قضية مهمة تتمثل في علاقة الأدب بالمجتمع من زاوية مهمة تتعلق بتأثير التطورات الاجتماعية، والتغيرات التي تطرأ على المجتمعات في الإنتاج الأدبي، من حيث أشكاله، وأنواعه، ومضامينه وغاياته، على اعتبار أن التغيرات الاجتماعية، والنمو الاجتماعي يؤثران تأثيرا بالغا في النص الأدبي، حسب وجهة نظر أنصار المنهج الاجتماعي، مما دفع نقاد المنهج الاجتماعي إلى إقامة علاقات وثيقة، وروابط متينة بين

---

[1] سانت بيف (**Charles Augustin Sainte-Beuve**) كاتب وناقد من أصل فرنسي درس البلاغة والفلسفة له العديد من الكتب والدراسات المهمة في تاريخ النقد الأدبي

[2] هيبوليت تين **Hippolyte Taine** فيلسوف ومؤرخ وناقد أدبي وفني فرنسي

[3] فرديناند برونتيير **Brunetière Ferdinand** ناقد فرنسي، صاحب مذهب التدرج والانتقال في أنواع البلاغة، وهو تلميذ هيبوليت تين وهو من أ صحاب الاتجاه العلمي التجريبي، فتطور الأدب عنده لا يختلف عن تطور الأحياء والنباتات، كما حاول دراسة الأدب من منظور تاريخي

[4] وغوستاف لانسون **Gustave Lanson** مؤرخ وناقد فرنسي، له دور كبير في مجال النقد الأدبي ويعتبر من أول مؤسسين المنهج التاريخي الذي سمي بفرنسا على اسمه لانسوية، أصدر الكثير من الكتب والمقالات العلمية، أهمها "منهج تاريخ الأدب" نظرا لما تميز به هذا الكتاب من جمال وابداع وتميز.

[5] أحمد كمال زكي، مرجع سبق ذكره، ص 147.

[6] ماهر حسن فهمي، (1983)، **المذاهب النقدية**، دار الطباعة الحديثة، ص 20

الحياة الاجتماعية، والنظم الاقتصادية السائدة كالنظام الاشتراكي، والإقطاعي، والرأسمالي، وبالتالي ظهور أجناس أدبية مختلفة، كما يجب التركيز على طبيعة الدولة والنظام السائد فيها، الذي يحدد حرية الأدب، وازدهاره، أو حتى تراجعه بحسب اذا كان نظام ديموقراطي، أو دكتاتوري.

2-تعريف المنهج الاجتماعي:

المنهج الاجتماعي من المناهج الأساسية في الدراسات الأدبية والنقدية، وقد تولد هذا المنهج من المنهج التاريخي، بمعنى أن المنطلق التاريخي كان هو التأسيس الطبيعي للمنطلق الاجتماعي عبر محوري الزمان والمكان[1]، وهو منهج يربط بين الأدب والمجتمع بطبقاته المختلفة، فيكون الأدب ممثلاً للحياة على المستوى الجماعي لا الفردي، باعتبار أن المجتمع هو المنتج الفعلي للأعمال الإبداعية، فالقارئ حاضر في ذهن الأديب وهو وسيلته وغايته في آن واحد[2]

ويعرف المنهج الاجتماعي أيضاعلى أنه دراسة العمل الأدبي كجزء من النظام الاجتماعي، حيث يبين كيف ولد العمل الأدبي، وعلاقته بالأنظمة الأخرى، والسائل والأهداف رامي إليها، فهو منهج بسيط جدا، يتكون أولا وقبل أيّ شيء من دراسة الأسس الاجتماعية الواقعية بعناية"[3]، ويصور الأدب الحياة الاجتماعية في الفترة التاريخية التي كتب فيها، ويعطينا صورة واضحة عن وقائع اجتماعية محددة"[4]، والعناصر الأساسية التي يهتم بها، أصحاب الاتجاه الاجتماعي لبيان علاقة الأدب والمجتمع[5]:

---

[1]صلاح فضل، (2013)، **مناهج النقد المعاصر**، ط1 ، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، ص 44

[2]صالح هويدي، **النقد الأدبي الحديث . قضاياه ومناهجه**، منشورات جامعة السابع من إبريل، ط1، 1426هـ، ص95

[3]انريك أندرسون أمبرت، (2004) **مناهج النقد الأدبي**، ت: الطاهر مكي، دار المعرفة الجامعية ، السويس، ص103

[4]محمد اللبيدي،(2004)، **علم اجتماع الأدب**، دار المعرفة الجامعية، السويس، ص 103

[5]سيد ياسين، (1982)،**التحليل الاجتماعي للأدب**، دار التنوير ، بيروت، ص 121.

- التركيز على الجوانب الاجتماعية في حياة الأديب، كوضعه الاجتماعي، ومكانته في المجتمع، ومدى تأثيره في المجتمع، ومدى تأثره في هذا المجتمع.وتعد هذه المحاور أسسا ثابتة لدى نقاد هذا الاتجاه.
- تعد قضية الجمهور من القضايا المهمة لدى أنصار هذا المنهج، فهو الذي يتلقى العمل الأدبي، ولا بد من الوقوف على مدى التأثير الاجتماعي للأدب في الجمهور المتلقي، وهو تأثير مهم جدا دون شك من خلال ملاحظة استقبال القرّاء للعمل الأدبي وبيان أهميته، مع ملاحظة أن علاقة العمل بالجمهور تختلف من بلد لآخر، ومن فئة لأخرى، ومن وقت لآخر .
- تعد مشكلة المحتوى الاجتماعي، والغايات، والأهداف، والمضامين الاجتماعية التي تسعى الأعمال الأدبية لتحقيقها من القضايا الأساسية التي عالجها النقاد الاجتماعيون في أعمالهم النقدية، وهنا ظهرت قضية الالتزام، وتعني :أن الأديب مسؤول أمام الناس ولا بد أن يقوم بدوره الإيجابي في الحياة.
- التركيز على أثر الاقتصاد في الإنتاج الأدبي، ووظيفته في المجتمع، وعده من الأسس الواجب بيانها وبيان كل ما يتعلق بها، كالوضع الاقتصادي للأديب، والنظر فيما يسمى الوظيفة الثانية، والأثر الاقتصادي للطبقات الاجتماعية على الأدب، وهذا ما يقودنا للحديث عن ماركس وفلسفاته الاقتصادية التي لا يتسع المجال للحديث عنها.

3-تطور المنهج الاجتماعي:

هناك عدد كبير من الأسماء الكبيرة التي يعدّ أصحابها من رواد المنهج الاجتماعي ورواد التطورات التي صاحبته أمثال آن دي ستايل (**Anne Louise Germaine de Staël-Holstein**) وكتابها " الأدب وعلاقته بالأنظمة الاجتماعية " الذي يعد من حجر الأساس الذي وضع في بداية تشكيل المنهج الاجتماعي، أرنولد هوزر(Arnold Hauser)[1]في كتابه

[1] أرنولد هوزر**Arnold Hauser**: عالم اجتماع وفيلسوف مجري

التاريخ الاجتماعي للأدب، و جورج لوكاتش**Georg Lukács** [1]، وكارل ماركس **(Karl Marx)**، وغيرهم، لكن أقدم تناول مباشر للمنهج النقدي الاجتماعي يرجع إلى هيجل (**Georg Wilhelm Friedrich Hegel)** (1831م)، الذي ربط بين ظهور الرواية والتغيرات الاجتماعية، مستنتجا أن الانتقال من الملحمة إلى الرواية جاء نتيجة لصعود البرجوازية وما تملكه من هواجس أخلاقية وتعليمية، واتضحت مع فردريك أنجلز (1895م) ملامح المنهج الاجتماعي، حيث دعا في رسائله وأعماله التراجيدية إلى ضرورة تعدد وجهات النظر المتناقضة في الرواية عند تصوير الوسط الاجتماعي بين الطبقتين المتضادتين الأرستقراطية والبروليتارية التي تحدث عنهما كارل ماركس، وفي هذا الوقت كان هيبوليت تين (1893م) طور النظرة الاجتماعية إلى الأدب من خلال عدة مقالات، بدعوته إلى إخضاع الدراسات المنجزة لطرائق البحث التي وظفت في مجال العلوم الطبيعية، مما جعل منه من أهم مؤسسي المنهج الاجتماعي، بملامحه العصرية، فقد درس النظريات الاجتماعية التي سبقته مضيفا إليها بعدا اجتماعيا جديدا كالعرق أو الجنس لبعدي العصر والواقع الاجتماعي، فالإبداع الأدبي في نظره لا هو بالخيال ولا هو بالجمال إنه نقل لأحداث العصر وتعبير عن الإحساس بالانتماء العرقي، والعصر يدل عنده على اللحظة التاريخية المعيشة، أما العرق فهو الجنس الموروث الذي تتفاعل ضمنه الخصائص الجسمية والسمات النفسية.

أما كارل ماركس (1883م) فاستطاع دعم أساسات النظرية الاجتماعية بتصور نظري متين عندما اعترف دون مواربة أن الأدب يرتبط ارتباطا وثيقا بالواقع المجتمعي المحيط بالمبدع، فماركس اختار لنفسه مسارا يختلف عن ذلك الذي جاء به هيجل، وفيه أكد أن هناك علاقة انعكاس آلي تربط البنية التحتية بالبنية الفوقية، والإبداع في مختلف صوره، ولهذا راح يبحث عن المجتمع في الأدب، وقدم تعريفا مغايرا لمفهوم علاقة الإنسان بالبيئة الاجتماعية في إطار طبيعة العلاقة بين البنيات الاجتماعية والاقتصادية التحتية، والبنيات الفكرية والإبداعية الفوقية، حيث تتجلى إحدى صور الرؤية الفنية المادية للواقع الاجتماعي، وكان للفكر المادي الماركسي أثر في تطور المنهج الاجتماعي، وإكسابه إطاراً منهجياً

[1] جورج لوكاش **Georg Lukács:** فيلسوف وكاتب وناقد ووزير مجري ماركسي مؤسس الماركسية الغربية في مقابل فلسفة الاتحاد السوفيتي، أسهم بعدة أفكار منها «التشيؤ» و«الوعي الطبقي» التي تندرج تحت النظرية والفلسفة الماركسية

وشكلاً فكرياً ناضجاً، ومن المتقرر في الفلسفة الماركسية أن المجتمع يتكون من بنيتين: دنيا: يمثلها النتاج المادي المتجلي في البنية الاقتصادية، وعليا: تتمثل في النظم الثقافية والفكرية والسياسية المتولدة عن البنية الأساسية الأولى، وأن أي تغير في قوى الإنتاج المادية لابد أن يُحدث تغيراً في العلاقات والنظم الفكرية[1].

واعتماداً على ما سبق، ظهرت نظرية "الانعكاس" التي طورتها الواقعية، إلا أن المشكلة التي كانت تواجه هذه النظرية تتمثل في فرضية مفادها، أنه كلما ازدهر المجتمع في نظمه السياسية والحضارية والاقتصادية ازدهر الأدب، إلا أن مراجعة تاريخ الآداب والمجتمعات أثبتت أن التلازم ليس صحيحاً، فمثلاً العصر العباسي الثاني الذي كان نموذجاً لتفكك الدولة، وانتقال السلطة من العرب إلى العجم، ونشوء الدويلات، كل هذه الظواهر السلبية اقترنت بنشوء حقبة من الأدب الذي تميز بالإبداع الشعري في الثقافة العربية[2]

وقد انتقد ماركس لهذا الموقف، ورد عليه بأن هناك آثارا وروائع مازالت مؤثرة إلى حد الآن في التاريخ البشري رغم انصرام الزمن الذي أنتجها، وهذا الانتقاد أكده ماركس، مما جعله يبحث عن تفسير للأمر، ووجد في نظرية " العصور الطويلة " وهي نظرية لا تلغي مبدأ تأثير المجتمع في الأدب لكنها تجعله ممتدا عبر الزمن، كما قدم الماركسيون تصوراً لتفادي هذه المشكلة، سموه " قانون العصور الطويلة"، مفاده أن نتيجة التطور الاقتصادي والسياسي والثقافي وارتباطه بالتطور الإبداعي الأدبي لا يظهر مباشرة بل يلزم ذلك مرور أجيال وعصور طويلة حتى يتفاعل الأدب مع مظاهر التطور المختلفة ويكتسب القوة منها، فهذا القانون يرفض ارتباط الأدب بالمجتمع في فترات وجيزة[3]. وقد عملت الماركسية مع الواقعية جنباً إلى جنب في تعميق الاتجاه الذي يدعو إلى التلازم بين التطور الاجتماعي والازدهار الأدبي مما أسهم في ازدهار "علم الاجتماع" بتنوعاته المختلفة، كان من بينها علم نشأ قبل منتصف القرن العشرين أطلق عليه: علم "اجتماع الأدب" أو

[1] أحمد كمال زكي، مرجع سابق، ص95.

[2] نفس المرجع، ص 45

[3] صلاح فضيل، مرجع سابق، ص 46-47.

"سوسيولوجيا الأدب"، وقد تأثر هذا العلم بالتطورات التي حدثت في الأدب من جانب، وما حدث في مناهج علم الاجتماع من جانب آخر[1]

ظلت هذه الأفكار قائمة لدى أنصار المنهج الاجتماعي في النقد الأدبي، على امتداد القرن العشرين، وجورج لوكاتش (1971م) أعاد نظر في النظرية الماركسية، من خلال الدعوة إلى تحقيق نوع من التوازن الموضوعي في العلاقة الجدلية القائمة بين الأدب والمجتمع، فالناقد جورج لوكاش، انطلاقا من اتجاهه الماركسي عمل على ربط أشكال الوعي كافة بالبنية الاقتصادية المحددة لها، وفي كتاباته عن بلزاك وأميل زولا كشف عن العلاقة الجدلية بين دلالات الأعمال الإبداعية الكبرى ودلالات البنيات الاجتماعي، فنظر إلى الأعمال الأدبية بوصفها انعكاسات لمنظومة ظاهرة، والانعكاس عنده يعني تكوين بنية ذهنية يتم التعبير عنها بالكلمات، ولا ينفي هذا القول استمرار النزعة المثالية في تصورات لوكاتش

هذا التحول سواء لدى ماركس أم لوكاتش يعد قفزة نوعية كبرى، فبعد أن كانت المقولات عند كانط أشكالا سابقة للذهن، مستقلة عن كل بعد تاريخي، أصبحت تاريخية عند هيجل، ولكنها ترتبط بتطور الذهن الموضوعي، لتصير البنيات الذهنية مع الناقدين ماركس ولوكاتش حقائق تجريبية ينتجها التطور التاريخي لمجموعة اجتماعية وطبقات اجتماعية على الخصوص، ولأن المنهج الاجتماعي اهتم بالمضامين، ما دام المجتمع يشهد صراعاً طبقياً، وعلى المبدع أن يحدد موقفه منه، فإن ذلك كان سببا في إغفال الجانب الجمالي وعلاقته بالدلالة الاجتماعية والأيديولوجية، واكتفى بالمقارنة بين ما موجود في الرواية من أماكن وشخصيات وبين ما يقابلها في الواقع الخارجي ، ومن ثم لم يناقش النقد الاجتماعي علاقة الأدب بالمجتمع بعيدا عن مفهوم الانعكاس، كما أنه لم يميز بين الأدب بوصفه إبداعا وبين الإيديولوجيا بوصفها مقولة فكرية وسياسية واقتصادية تؤثر فيه بطريقة غير مباشرة، مما جعل بعض النقاد يتجاوزون عثرات المحاولات النقدية السابقة.

فانطلق الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسي لوسيان جولدمان (**Lucien Goldman**) (1970م) من جملة فرضيات في مقدمتها أن السلوك الإنساني يحاول إيجاد توازن بين الذات الفاعلة وموضوع الفعل، وبالتالي فإن الدراسة العلمية تتطلب

[1] نفس المرجع، ص 47.

الكشف عن كلا الوضعيتين، ومن التساؤلات التي يطرحها جولدمان من هي الذات الفاعلة أهي الفرد أم الجماعة؟ ثم يجيب جولدمان أن الجماعة ليست إلا شبكة معقدة من العلاقات المتبادلة بين الأفراد، ويتطلب التحليل تحديد بنية الشبكة ودور الأفراد الفاعلين فيها، لندرك العلاقة الموضوعية بين الإنتاج والمبدع الحقيقي وهو الجماعة الاجتماعية وليس الفرد، وهو بذلك يقترب كثيرا من مقولة هيجل الحقيقي هو الكلي، لكنه لا يتجاهل دور الفرد، فالفرد بفعل ولادته أو وضعه الاجتماعي يؤلف جزءاً من الجماعة.

وعند جولدمان تتجاوز هذه العلاقة معظم التفسيرات السابقة، حيث أصبحت دراسة الواقع هي التي تمكن الباحث من اكتشاف طموحات الإنسان وأفكاره ومشاعره في علاقته بذاته ومجتمعه أولا، وفي مواجهته للجماعات الأخرى ثانيا، وهذا ما يسميه جولدمان برؤيا العالم وهذه الرؤيا حسب العديد من المفكرين هي الدعامة الأساسية للمنهج الاجتماعي في النص الأدبي وبذلك، غدا المنهج الاجتماعي في الأدب، هو ذلك المنهج الذي يعمد إلى قراءة النصوص الأدبية وتحليلها من وجهة تعبيرها عن الإنسان والمجتمع، وبهذا يكون علم اجتماع الأدب كفرع من فروع العلوم الاجتماعية، يبحث أساسا عن العلاقات التي تربط الإبداع الأدبي بالشروط الاجتماعية المؤطرة له، وذلك عبر التأويل الاجتماعي للإبداع وتتبع الخلفيات الاجتماعية المتحكمة في إنتاجه واستهلاكه، ومدى تعبيره عن الصراع الدائر في المجتمع، وينطلق هذا المنهج من مبدأين:[1]

- الأول أن الأدب غير معزول عن بيئته ووسطه الاجتماعي، وعما يعتمل داخلهما من «حركة وصراع»، ما يجعل الأدب صورة عن المجتمع، ويعكس موقفا من طبيعة العلاقات الاجتماعية الدائرة فيه
- والثاني، عد الإنتاج الأدبي غير منفصل عن السياق الاجتماعي الذي ظهر فيه، فهو موجه للاستهلاك الاجتماعي والتأثير في متلقيه ومستهلكيه وتشكيل أذواقهم وتغيير

[1] أنور عبد الحميد الموسى(2013)، **علم اجتماع الأدبي: منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد**، دار النهضة العربية، مصر، ص 47

سلوكهم، ومن ثم كان الأدب من وسائل الضبط الاجتماعي، فاللغة التي يستخدمها مؤسسة اجتماعية، وليس مجرد أداة للتعبير الجمالي أو النفسي.

والنقلة المنهجية التي حققها جولدمان من المنهج النقدي الاجتماعي التقليدي إلى المنهج الذي يدرس المضامين الاجتماعية في أشكالها هي دراسة العمل الثقافي بوصفه بنيات مماثلة ومناظرة للبنيات الاجتماعية، ولكن في عالم يتمتع باستقلاله وبقوانينه الخاصة، أي إن بنيات العالم المتخيل مناظرة أو مماثلة للبنيات الذهنية لدى الجماعة الاجتماعية دون أن تكون بالضرورة انعكاسا حتميا لها، فالجماعة الاجتماعية تشكل نسقاً من البناءات التي تبث في وعي الأفراد ميولات عاطفية وفكرية وعلمية، تندفع نحو درجة ما من التجانس محققة ما أسماه جولدمان برؤية العالم، التي بها يستطيع الكاتب خلق عالماً في غاية الانسجام، حيث تطابق بنياته البنيات التي تنزع إليها الجماعة، فيعي أفرادها ما كانوا يفكرون فيه أو يحسونه أو يفعلونه دون أن يعرفوا دلالاته معرفة موضوعية.[1]

فتعد رؤية العالم الذي تحدث عنه جولدمان النسق الفكري الذي يسبق عملية تحقق النتاج، ويتلخص في أنه مجموع التطلعات والعواطف والأفكار التي يلتف حولها أفراد المجموعة أو الطبقة، فتجعل منهم معارضين للمجموعات الأخرى من أجل تحقيق التطلعات والأفكار المشار إليها، وتبعث لديهم وعياً طبقياً متفاوت الوضوح والتجانس، يبلغ ذروة وضوحه وتجانسه، وجولدمان يحدد الوعي بأنه مظهر معين لكل سلوك بشري يستتبع تقسيم العمل، ويميز بين نوعين من الوعي الأول إحساس بظرفية واحدة يجمع بين أفراد الجماعة وذلك هو الوعي القائم، وهو وعي متطور في بنيات متغايرة ومتلاحقة، أما الثاني فهو الوعي الممكن، وهو تصور لما ينبغي أن يكون، أي تصور إمكانية تغيير الواقع القائم وتعديله على وفق ما تراه الجماعة محققا للتوازن المنشود، وفي ما يلي المنطلقات الأساسية للبنيوية التكوينية، التي حصرها جولدمان في كتابه المنهجية في علم الاجتماع الأدبي في النقاط التالية:[2]

- العلاقة الجوهرية بين الحياة الاجتماعية والإبداع الأدبي تهمّ البنى الذهنية التي تنظم الوعي التجريبي لفئة اجتماعية معينة والكون التخيلي الذي يبدعه الكاتب.

[1] نفس المرجع، ص 63 (بتصرف)
[2] نفس المرجع، ص 95 (بتصرف)

- البنى الذهنية ذات الدلالة ليست ظواهر فردية، وإنما هي ظواهر اجتماعية.
- العلاقة بين وعي الجماعة والبنية المنظمة للعمل الأدبي متماثلة تماثلاً دقيقاً، إلا أنها غالباً ما تشكل مجرد علاقة ذات دلالة.
- البنى الذهنية (المقولية) هي ما يمنح العمل الأدبي وحدته.
- البنى الذهنية المشار إليها سيرورات غير واعية مماثلة لتلك التي تنتظم عمل البنى العضلية والعصبية، لهذا فإن الكشف عنها متعذر على الدراسة الأدبية المحايدة وعلى الدراسة المتجهة نحو النيّات الواعية للكاتب أو في علم نفس الأعماق، ولا يتحقق إلا ببحث من النمط البنيوي والسوسيولوجي.

بعد لوسيان جولدمان جاء مجموعة من النقاد والمفكرين الذين أضافوا إلى المنهج الاجتماعي، وتركوا بصمتهم نذكر منه جاك لينهارت، الذي طبق على اللغة أفكار جولدمان حول الأدب، فلاحظ أن العلاقة اليومية للناس باللغة تعتمد على مسلّمة أن السيرورة الخطابية تعبّر عن المعنى بصفة موحدة، باعتمادها على القيمة الاستعمالية/الوظيفية، ونجده في كتابه قراءة سياسية للرواية (1973) يعرض تحليلا لرواية غيرة لآلان روب غرييه، ويؤسسه على أربعة أسئلة، هي:[1]

- هل تقدم (غيرة) بنية دالة متماسكة؟ وهل تحدّد هذه البنية الرواية المعنية فقط أم عموم أعمال روب غرييه؟
- هل يمكن أن تدرج البنية الدالة المتركزة على (الغيرة) في إطار تيار إيديولوجي أعم مثل تيّار (الرواية الجديدة)؟
- إذا كانت تلك البنية الإيديولوجية موجودة فهل لها علاقات وظيفية بطبقة اجتماعية أو بفئة اجتماعية؟
- هل تمثل هذه الطبقة أو الفئة الاجتماعية مكاناً مدركاً في البنية الشاملة للمجتمع الفرنسي؟

[1] عبد الهادي الفرطوسي،
http://www.alnoor.se/article.asp?id=13642#sthash.BnFutdD5.dpuf

وأيضا يوري لوتمان شكل تطويرا وإضافة نوعية لما قدمه جولدمان، مستفيدا من إنجازات المادية التاريخية ومدرسة الشكلانيين الروس ومدرسة المعلومات وعلم الاتصال، حيث يرى أن المعنى يتولد من نسق لغوي يقوم على مبدأ التشابه والتضاد، وعليه فإن النص يحمل في ثناياه لغتين، وإن المعنى هو محصلة للتأرجح بينهما ، ولا يمكن الإحاطة بالنص إلا بالإحاطة بلغتيه معا في تفاعلهما، لهذا يعد أن اللغة " نظام من العلامات المنتظمة تقوم بوظيفة اتصالية، ويترتب على تعريف اللغة بأنها نظام مناقشة وظيفتها الاجتماعية، فهي تؤمّن وتضمن تبادل المعلومات وتضمن حفظها وتراكمها في المجتمع الذي يستخدمها، ولكي تقوم اللغة بوظيفتها الاتصالية يتحتم بأن يكون لها نظام من العلامات جاهز للاستخدام"، كما وجه منهج لوتمان فهم جدلية النص الأدبي على وجهين الوجه الداخلي ويعني إدراك الجدل المستمر بين مستويات النص، وبين العناصر المكونة لكل مستوى منها، والوجه الثاني إدراك العلاقات الجدلية بين النص وما يحيط به خارج النص.

ففي كتابه " بنية النص الأدبي" الصادر عام 1970 يعالج لوتمان كيفية ارتباط بنية النص ببنية الفكرة، مبينا أن بنية النص نظام شديد التعقيد، وأن تحديدها يتطلب القيام بنمذجة يتحقق فيها عزل الخواص الثابتة، ولتحقيق ذلك استفاد من محوري السياقي والاستبدالي، جاعلا الأول يسيطر على النص القصصي والروائي، والثاني يسيطر على النص الشعري، فوضعنا بذلك أمام خاصيتين مهمتين من مجمل الخواص الثابتة، فقد توصل لوتمان إلى أن اللغة الطبيعية هي نموذج أول للعالم، أما اللغات النوعية (الشعرية والأدبية والشفرات) فهي نظم نمذجة ثانوية، هكذا يفسر مضمون النص، في اللغة العادية، بحدود شفرة مفردة، أما الانحرافات في العمل الفني فهي عناصر في نظام آخر، تشكل شفرات مفسِّرة تختلط بعناصر الشفرة الأصلية، ومن ثم فإن تعددية النظم خاصية لازمة في الفن، إذ ينتج عن اصطراع عناصر نظامين أو أكثر توتر يخلق التأثير الفني

4-المنهج الاجتماعي في النقد العربي.

وبناء على المبدأين، اللذين تحد ث عنهما جولدمان في فكره فإن المنهج الاجتماعي ينظر إلى الأدب من زاويتين الأولى أن الأدب صورة للمجتمع، ومرآة عاكسة للانتماء الطبقي للأديب والثانية أن الأدب يخاطب المجتمع وهو صورة منه، وهنا يتوضح التأثر التجاوب

الواسع من طرف النقاد والأدباء العرب، مع المنهج الاجتماعي[1]، أمثال محمد مندور، وحسين مروة، وعمر فاخوري صاحب مدرسة التحرر الفكري، يوسف إدريس، ونجيب محفوظ، ويحيي حقّي، ومحمد حسين هيكل، سلامة موسى، لويس عوض، نجيب العوفي، صلاح فضل، حميد لحمداني وإدريس الناقوري، فتراثنا النقدي القديم لا يخل من نقد المجتمع وسلوكياته ككتاب "البخلاء" للجاحظ، الذي الحرص على الربط بين المعنى الشريف واللفظ الشريف الذي نجده عند بشر بن المعتمر، وبعض الملاحظات المنتشرة في كتب النقد القديم التي تحث على الربط بين المستوى التعبيري ومستوى المتلقين[2]، وقد ظهر هذا المنهج في المجتمع العربي نتيجة التحرر القومي من الاستعمار، فتلقف العالم العربي هذا المنهج النقدي، وهو يشهد تطوراً اجتماعياً وسياسياً، ومن ابرز الأسماء التي يمكن الإشارة إليها في الوطن العربي، محمود أمين العالم، وعبد العظيم أنيس, في كتابهم المشترك "في الثقافة المصرية" سنة 1955م، وكذلك الناقد حسين مروة الذي اصدر كتاباً بعنوان" دراسات في ضوء المنهج الواقعي، ومن نقاد هذا المنهج، عصام حفني، وسلامة موسى، وعمر فاخوري، وفريدة النقاش، وعبدالرحمن ياغي, وغيرهم.

لقد كان المنهج الاجتماعي علامة الانتقال إلى عصر آخر ليس عصر دمج الذات الهشة بل عصر انعتاقها وآية ذلك أن النقد الاجتماعي لا يعلمنا قراءة النصوص فقط، بل يعيننا على قراءة حياتنا وعلاقتنا بالعالم من حولنا، حيث جعل للقارئ مكاناً من خلال إبراز ذاته الاجتماعية الواضحة، كما حمى النص من التلاشي والتحول إلى مجرد ملخص وإضافة لسلطة معرفية أخرى، والإضافة التي قدمتها الماركسية لا يمكن إنكارها من خلال ربط الأدب بالمجتمع، واستجلاء ملامح العلاقات الاجتماعية.

وقد ذكر حسين الهنداوي في مقالته "أن الأدب ينبثق من المجتمع ويكتب له ذلك أنه يمثل الحياة تمثيلاً حقيقياً والحياة هي الحقيقية الاجتماعية من خلال الفكر والأدب.

---

[1] أحمد كمال زكي، مرجع سابق، ص 148-154.

[2] سعد أبو الرضا، (2008)، **النقد الأدبي الحديث أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة**، رؤية إسلامية، ص 73.

لقد كان الأدب العربي شعرا ونثرا يمثل الحياة الاجتماعية العربية أصدق تمثيل في جميع جوانبها فقد رسم لنا الأدب الجاهلي العادات والصور الاجتماعية بشكل واضح حتى أنه يمكن القول إننا لم نتعرف على صور المجتمع العربي الجاهلي إلا من شعره والمتصفح لدواوين الشعراء الجاهليين يجد قيماً وأنماطاً من السلوك تتحدث عن الشجاعة والبطولة والكرم ونصرة المظلوم وحماية المرأة والثأر والانتقام وغيرها، مما جعلهم يقولون بحق الشعر ديوان العرب وهذا ينقض ما زعمه طه حسين في كتابه في الشعر الجاهلي من أن الشعر الجاهلي لا يمثل الحياة الجاهلية، وكذلك كان الأدب الإسلامي والعباسي وأدب عصر الدول المتتابعة مع تطور في الموضوعات والأغراض والمضامين.

كان الشاعر العربي بصفته عضوا في مجتمعه منغمسا في وضعه الاجتماعي ويتلقى فيه نوعاً من الاعتراف، لأنه يخاطب جمهور القبيلة .وفي المجتمع البدائي لا يمكن فصل الشعر عن اللهو والسحر والشعائر"[1]، أما في النقد الحديث، فلم يكن لهذا المنهج رواد بارزون مقتنعون به، يربطون بين الإنتاج المادي والإنتاج الأدبي كما يوجد في روسيا، ولكننا نجد بعض الدعوات إلى الاهتمام بالاتجاه الاجتماعي في النقد الأدبي عند شبلي شميل، وسلامة موسى، وعمر الفاخوري، وقد اقترب هذا المنهج من المدرسة الجدلية عند محمود أمين العالم، وعبد العظيم أنبس، ولوبس عوض، حتى كان تجليه في النقد الأيدلوجي عند محمد مندور[2]

5-النقد الاجتماعي وعلم اجتماع النص الأدبي

في أواسط ثمانينات القرن الماضي أصدر بيير زيما كتابه الموسوم بالنقد الاجتماعي داعيا إلى منهج جديد أسماه علم اجتماع النص الأدبي، محاولا الاستفادة من مناهج أخرى في مقدمتها، كما يقول سيد البحراوي السيميائية والبنيوية والتحليل النفسي ونظريات القراءة[3]، وهو بوساطة هذا المنهج يسعى إلى معرفة الكيفية التي تتجسد بها القضايا

---

[1]بسام قطوس، (2006)، **المدخل إلى مناهج النقد المعاصر**، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، ص69

[2]سعد أبو الرضا، مرجع سابق، ص 73.

[3]بيير زيما، (1991)، **النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع للنص الأدبي**، ت: عايدة لطفي، القاهرة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ص8

الاجتماعية والمصالح الجماعية في المستويات الدلالية والتركيبية والسردية للنص، ومن ثمّ إلى إظهار الأوجه الأيديولوجية فيه[1]، ومن بين أهداف هذا العلم أنه يسعى إلى الكشف عن وظيفة الأجناس الأدبية المختلفة[2]، فكان أن انبثق عنه علم اجتماع الأجناس الأدبية، ليتشعب إلى علم اجتماع المسرح وعلم اجتماع النص الشعري وعلم اجتماع الرواية.

ويتميز علم اجتماع النص الأدبي بأنه يشغل مساحة أكبر من العلوم الأخرى المنبثقة عن علم اجتماع الأجناس الأدبية، لأن الرواية تمثل مواقف وأفعالا اجتماعية وتاريخية، وإن مساحتها المرجعية والتوثيقية أكثر وضوحا من الفنون الأخرى[3]، وهو ينطلق من فرضيتين أساسيتين[4]:

- بقدر ما تظهر الرواية في مجال الإنتاج تظهر في مجال تلقي هذا الجنس.
- الرواية نص واقعي نموذجي تستوعب كتابته التوجه العلمي والمادي للبرجوازية

يبدأ زيما منهجه من حيث انتهى جولدمان وباختين، مسجلا على الأول، إضافة إلى استبعاده المستوى اللغوي من التحليل، كما مر، أن جولدمان يعدّ الرواية تحيل مباشرة إلى الواقع الاجتماعي، بينما " الرواية هي مجموعة من البنى الدلالية والتركيبية السردية التي تتفاعل مع القضايا الاجتماعية والاقتصادية على مستوى اللغة، اللغة هي إذا البنية الوسيطة الواقعة بين النص والمجتمع"[5]، ويسجل على باختين أنه لا يتساءل عن الأصول الاجتماعية والاقتصادية للازدواج القيمي الكرنفالي في المجتمع الحديث[6]، كما أنه لم يطور فكرته القائلة بازدواجية الشخصيات الروائية في ضوء ازدهار الرأسمالية[7]، ونقطة البداية

[1] نفس المرجع، ص 13

[2] نفس المرجع، ص63

[3] نفس المرجع، ص 123

[4] نفس المرجع، ص 125

[5] نفس المرجع، ص155

[6] نفس المرجع، ص162

[7] نفس المرجع، ص163

لعلم اجتماع النص الأدبي حسب بيير زيما هي الإجابة عن السؤال الآتي:كيف يتفاعل النص الأدبي مع المشكلات الاجتماعية والتاريخية على مستوى اللغة؟[1]

فالعلاقة بين الدلالة والتركيب السردي للخطاب هي المدخل إلى الإشكال الذي يثيره السؤال السابق، لكن زيما يستبعد أن تكون المناهج الشكلية كمنهج جينيت ومنهج بريموند طريقا للكشف عن تلك العلاقة، لأن تلك المناهج تهمل الأساس الدلالي للقص، ويقدم زيما اللغة على المستوى الدلالي والمعجمي بديلا لتلك المناهج ، وهو في الوقت نفسه ينكر إمكانية تكوين سيميوطيقا اجتماعية، إلا إذا اعتمدنا بعض النظريات السيميائية التي يمكن أن تثري النظرية الاجتماعية، ومن بينها نظريات غريماس وبيترو وكريستوفا وإيكو، ولذلك فإن على علم اجتماع النص أن يبني علاقات منظمة بين المفاهيم السيميائية ذات الصفة الاجتماعية، وأن يطور الأبعاد اللغوية والسيميائية لبعض النظريات الاجتماعية وخاصة النظرية النقدية لمدرسة فرانك فورت[2].

تبدأ المفاهيم السيميائية ذات الصفة الاجتماعية من بروب الذي توصل إلى أن الأساس الدلالي للنص يحدد بنيته السردية، ومن ذلك أكّد غريماس أن البنية الدلالية لأي نص سردي هي المسؤولة عن توزيع الوظائف الفاعلة، ومن جانب آخر فإن طبيعة الفاعل عند غريماس قد يكون ذا صفة جماعية، كأن يكون حزبا سياسيا يكون أعضاؤه ممثلين للفاعل الجماعي، وقد يحصل العكس كأن يكون فاعلا واحدا تجمع من عدة فواعل جماعية، كما يمكن الاستفادة من موضوع النموذج الفاعلي لدى غريماس في علم اجتماع النص[3].

الجانب الآخر الذي يستند إليه علم اجتماع النص لربط النص الأدبي بسياقه الاجتماعي "تقديم العالم الاجتماعي كمجموع لغات جماعية تظهر في أشكال مختلفة في البنى الدلالية والسردية للتخيل، ويسعى زيما في هذا المجال إلى الاستفادة من موكاروفسكي الذي يعتقد أن العلاقة بين الأدب والمجتمع لا توصف إلا على المستوى اللغوي، كما يسعى

[1]نفس المرجع، ص172

[2]نفس المرجع،ص 176.

[3]نفس المرجع، ص 182

إلى الاستفادة من ميخائيل باختين الذي يرى في اللغة مجموعة من البنى التاريخية المتغيرة التي ترجع تحولاتها إلى الصراعات الاجتماعية والتجديدات التي تأتي بها ، ويعتقد زيما أن منهج باختين بهذا الخصوص في كتابه " الماركسية وفلسفة اللغة" نقطة بداية ممكنة لنظرية في لغويات الخطاب تتجاوز لغويات الجملة ويعرّج زيما إلى الحديث عن لغة الجماعة وفكرة عالم اللغة الروسي مار القائلة بوجود لغة لكل طبقة اجتماعية[1].

وهنا علينا الحديث عن وجهة نظر ستالين بهذا الموضوع، إذ انتقد بشدة رأي القائلين أن اللغة بناء فوقي، وساق حججا كثيرة لتفنيد هذا الرأي، من بينها أن أكثر من مائة سنة مرت على وفاة بوشكين، وفي هذه المدة أزيل النظام الإقطاعي والنظام الرأسمالي، وظهر نظام اشتراكي ثالث، وعلى هذا أزيل بناءان تحتيان مع بنائهما الفوقي الجديد ومع هذا، إذا أخذنا اللغة الروسية كمثال نجد أنها، عبر هذا الوقت الشاسع، لم يعترها أي تغير أساسي، أما بشأن اللغات الطبقية، فإن ستالين بقدر ما ينفي وجودها نفيا قاطعا، يؤكد وجود لهجات طبقية قائلا: "ظهرت لهجات طبقية وألسنة خاصة، وهذه اللهجات والألسنة الخاصة كثيرا ما توصف في الأدب بأنها لغات وهذا خطأ"، ويضيف أن تلك اللهجات تملك كلمات خاصة تعكس خبرات الارستقراطية، وتعابير وتراكيب تتميز بالتشذيب والفخامة وعدد من الألفاظ الأجنبية، بينما تبقى الغالبية العظمى من الكلمات ونظام القواعد على حالها في اللغة الوطنية المشتركة ويختم ستالين مقالته بالهجوم على مار نافيا أطروحتيه في أن اللغة بناء فوقي وفي السمة الطبقية للغة.[2]

استعمل زيما في سياق كتابه المذكور كلمة لغة بمعناها اللهجي وكثيرا ما يفسر معنى اللغة التي يتحدث عنها بذكر عبارة لهجة جماعية محصورة بين قوسين إلى جوار كلمة لغة، وبذلك فهو يعني باللغة ما عناه ستالين باللهجة، وإذا كان ستالين قد قصر اللهجة الجماعية (نسبة إلى الجماعة) على الجانب المعجمي، فإنها عند زيما تحتوي إضافة إلى البعد المعجمي

[1] نفس المرجع، ص 188

[2] ستالين، **الماركسية وقضايا علم اللغة**، ت: حنا عبود، دمشق، دار دمشق للطباعة والنشر، سلسلة المكتبة الاشتراكية، ص11.

بعدا دلاليا وبعدا تركيبيا ويعرفها استنادا إلى غريماس بأنها "لغات فرعية معروفة بالتقلبات السيميوطيقية التي يعارض بعضها البعض الآخر"، ويعرفها ثانية بأنها "فهرست معجمي له شفرة"، ويعني بالشفرة (الشفرة الدلالية الخاصة بلهجة جماعية معينة) مجمل التعارضات والاختلافات، بوصف كل منهما نظاما نابعة، من نظام تصنيفي معين، ويضيف لها بعدا ثالثا، فيرى اللهجة الجماعية بناء نظريا أو فرضية حول الواقع تستند إلى الفهرست المعجمي والشفرة والتجسيد الخطابي، لينتهي إلى أننا لن نستطيع شرح وظائف الأيديولوجيات في أية رواية أو مسرحية إلا عن طريق تصوير الأيديولوجيات كلهجات جماعية[1]

يقدم زيما أيضا تطبيقا عمليا على منهجه في علم اجتماع النص محللا رواية " الغريب" لإلبير كامو، فيبدأ ذلك بوصف الوضع الاجتماعي - اللغوي للرواية معتمدا نماذج تنتمي إلى عصر الكاتب، كسارتر ودي بوفوار، ثم يسعى بعد ذلك إلى التعرف على اللهجة الجماعية بوصفها " الرباط الجامع بين الرواية وبنياتها وبين الوضع الاجتماعي اللغوي" ، هكذا تظهر في خطاب المدعي العام في رواية الغريب، لهجة جماعية انسانية مسيحية، تمثل اللغة الشرعية، تقابلها لهجة جماعية أخرى لهجة اللامبالاة تظهر في خطاب البطل الراوي، مهددة نظام قيم مجتمع السوق الذي تمثله اللهجة الأولى، وتنشأ البنية الدلالية والسردية للرواية من الاصطدام بين هاتين الأيديولوجيتين[2].

أما ميشال زرافا الذي يعد ممن اهتموا بعلم اجتماع النص الأدبي الناقد ميشال زرافا، الذي يقترب كثيرا من أفكار بيير زيما، فهو يرى أن النص الروائي يمكنه أن يعكس موقفا محددا من مجمل الأيديولوجيات التي تدخل في تركيبه، وهو يميز بين مفهومين: الأول السوسيولوجيا من خلال الرواية التي تكتفي بدراسة العالم الداخلي للنص ثم تربطه بالثقافة، دون أن تتبين وظيفة النص في الصراع الثقافي والأيديولوجي، والثاني سوسيولوجيا الرواية وهي تعنى بوظيفة النص في الصراع المذكور، وهو يركز على ما تحمله الرواية من تصور للواقع أو رؤية للعالم، وفي كتابه الأسطورة والرواية يقدم تفسيراً

[1] بيير زيما، مرجع سابق، ص 192

[2] نفس المرجع، ص211

اجتماعياً لهيمنة المونولوج الداخلي على الأدب في عشرينات القرن العشرين، فيتحدث عن الشخص الأوسط-في أعمال جويس وتوماس مان وغيرهم، الذي يعيش داخل عالم روايته معزولا عن الطبقة العاملة، منسلخا عن أنانية البرجوازية ولا إنسانيتها، يظهر نموذج الشخص الأوسط في الروايات التي تدور في مجتمعات صناعية متقدمة بعيداً عن الأيديولوجيات وصراع الطبقات.

تكون هذه الشخصية بهذا المعنى أيديولوجية، ورواياتها لا تعبر عن رؤية العالم، بل عن كافة رؤى العالم، هكذا يتفاعل الأدب والسوسيولوجيا، كاشفاً عن علاقات ضرورية بين الأشكال في الأدب والأشكال في الفن، فالإيقاع السريع وتعقيد تيار الوعي يرتبطان بالعلاقات الاجتماعية ارتباطاً منطقياً مباشراً، ويسمي زرافا هذا الاتجاه الروائي واقعية نقدية بالمعنى العميق، واقعية تتحدى القيم الاجتماعية والجهاز الاجتماعي للحضارة البرجوازية، ويرى في هذا الاتجاه "نمطاً جديداً من رؤيا العالم ينطوي دون شك على الفرد المتكدس في شظايا". الساعي إلى إعادة إنتاج الفردية المناسبة من خلال عرض نتف هذه الشخصية على شاشة العقل الواعي، ويختم آراءه بأن إدراك الواقع والوصول إلى المعنى بهذا السياق لا بد أن ينتج عن بطارية متكاملة من المناهج التقنية[1].

6-ما يعاب على المنهج الاجتماعي.

ككل منهج أو فكر علمي له ما يحسب له وله ما يحسب عليه والمنهج الاجتماعي لا يخرج عن هذه القاعدة فكما له ايجابيات واسهامات كبيرة لخدمة الأدب والمجتمع كما تم توضيحه سابقا مع رواده ومؤسسيه، له أيضا جوانب تقصير عديدة لخصها بعض المفكرين الذين انتقدوا هذا المنهج في النقاط التالية:[2]

[1] ميشيل زرافا، **الأسطورة والرواية**، ت: صبحي الحديدي، الدار البيضاء، عيون المقالات، ط2، 1986، ص49 - 52 .

[2] أحمد كمال زكي، مرجع سابق، ص 74-79.

- إصرار أصحاب المنهج الاجتماعي على رؤية الأدب على أنه انعكاس للظروف الاجتماعية للأديب، ومع أن هذا الرأي صحيح إلى حدٍّ ما، فليس الأديب شيئاً منعزلاً عن مجتمعه، إلا أن أيضاً يحتاج الأديب لأن يعبر عن أشياء أخرى مختلفة غير هموم مجتمعه.
- سيطرت التوجهات المادية على كل شيء في هذا المنهج، فالبنية الدنيا المادية، في نظر الاتجاه الماركسي تتحكم في البنية العليا التي يعد الأدب جزء منها، فتزول حرية الأديب لأنها مبنية على سيطرة المادة، ومن جانب آخر يغفل هذا المنهج جانب الغيبيات وأثرها الفاعل في توجيه الأدباء من خلال الخلوص لله سبحانه واستحضار خشيته في القول والفعل، واتصاله بالمرجعية الدينية كجزء من الحكم النقدي
- يهتم هذا المنهج بالأعمال النثرية كالقصص والمسرحيات، ويركز النقاد على شخصية البطل، وإظهار تفوقها على الواقع مما يؤدي إلى التزييف نتيجة الإفراط في التفاؤل، فتصوير البطل يجب أن يكون من خلال الواقع وتمثل الجوهر الحقيقي لواقع الحياة
- يغلب على أصحاب هذا الاتجاه المبالغة في الاهتمام بمضمون العمل الأدبي على حساب الشكل، فجاء "علم اجتماع النص" كتعويض لهذا النقص حيث يهتم باللغة بوصفها الوسيط بين الحياة والأدب، وهي أداة فهم المبدع وإبداعه
- يطمح الأديب أن يصل في العمل الأدبي شعراً كان أو نثراً إلى أن يحقق المتعة والإدهاش وأن يبعث على اللذة وما للأدب من قيمة جمالية لا ينكرها من قال برسالة الأدب والفن ووجود أهداف إنسانية وأخلاقية له.
- النضج المنهج الاجتماعي في النقد مجموعة من المفاهيم والمصطلحات النقدية المهمة مثل الفن للمجتمع ورسالة الأدب ورسالة الفن والأدب الملتزم، وهي أن يساهم الأدب في تطور المجتمع ورقيه في توعية أفراده بجانب كونه نشاطاً خاصاً في القضايا الفردية

خاتمة

يعد المنهج الاجتماعي ورغم عيوبه ذو أهميته في دراسته للأدب نثرا وشعرا، وللمنهج الاجتماعي اتجاهان، الاتجاه الكمي الذي يعتمد على الإحصائيات والتحليلات في تقييم الأدب، والمدرسة الجدلية التي ابتعدت عن الكم في التقييم واقتربت من الكيف، والمنهج الاجتماعي الحديث الذي أسهم الغرب في تطويره، قد تناوله علماء عرب والمسلمين من قبل، أمثال بن قتيبة الدينوري والقاضي الجرجاني وعبد القاهر الجرجاني وغيرهم، لكن الحداثيين نسبوا هذا المنهج الجديد إلى الغرب، متجاهلين أو جاهلين على وجود هذه المناهج عند المسلمين والعرب قبل قرون، ومع الوقت لم تبق الأسس التي قام عليها المنهج الاجتماعي ثابتة، بل تعرضت إلى التبديل والتطوير والتغيير، مما جعل منه أكثر واقعية، التي أصبحت لدى كثير من المفكرين مرادفا للمنهج الاجتماعي ، وحتى الواقعية لم تستقر على حالها بل فنجد لها أنواعا وأتباعا كالواقعية الاشتراكية، والواقعية التشاؤمية وغيرها من الأسماء، والفكر الماركسي وأتباعه ومعارضيه، غير أن الأسس الاجتماعية تبقى القاسم المشترك الأكبر بين هذه التيارات.

المراجع:

1. أحمد كمال زكي(1981)، **النقد الأدبي الحديث النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته**، ط2، بيروت.
2. انريك أندرسون أمبرت(2004)، **مناهج النقد الأدبي**، ت: الطاهر مكي، دار المعرفة الجامعية ، السويس.
3. أنور عبد الحميد الموسى(2013)، **علم اجتماع الأدبي: منهج سوسيولوجي في القراءة والنقد**، دار النهضة العربية، مصر
4. بسام قطوس(2006)، **المدخل إلى مناهج النقد المعاصر**، ط1، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية.
5. بيير زيما(1991)، **النقد الاجتماعي نحو علم اجتماع للنص الأدبي**، ت: عايدة لطفي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة
6. جوزيف ستالين(1950)، **الماركسية و قضايا علم اللغة**، ت: حنا عبود، دمشق ، دار دمشق للطباعة والنشر ، سلسلة المكتبة الاشتراكية.

7. سعد أبو الرضا(2008)، **النقد الأدبي الحديث أسسه الجمالية ومناهجه المعاصرة**، رؤية إسلامية.
8. سيد ياسين(1970)، **التحليل الاجتماعي للأدب**، دار التنوير ، بيروت
9. صالح هويدي(2005)، **النقد الأدبي الحديث. قضاياه ومناهجه**، منشورات جامعة السابع من إبريل، ط1.
10. صلاح فضل(2013)، **مناهج النقد المعاصر**، دار الآفاق العربية، القاهرة.
11. عبد الهادي الفرطوسي،
www.alnoor.se/article.asp?id=13642#sthash.BnFutdD5.dpuf
12. ماهر حسن فهمي(1983)، **المذاهب النقدية**، دار الطباعة الحديثة، القاهرة
13. محمد اللبيدي(2004)، **علم اجتماع الأدب**، دار المعرفة الجامعية، السويس.
14. ميشيل زرافا(1986)، **الأسطورة والرواية**، ت: صبحي الحديدي، الدار البيضاء، عيون المقالات، ط2.